أيام مريام

رواية

أحمد كمال الدين



دار اكتب للنشر والتوزيع



أيام مريام

أيام مريام

أحمد كمال الدين

الطبعة الأولى، القاهرة 2019 م

غلاف : أحمد فرج

تدقيق لغوي : خالد رجب عواد

رقم الإيداع : 26852 /2018

I.S.B.N: 978-977-488-616-4



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة، مصر

هاتف : 01111947957

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

ليست مريام هي من ستحمل أحداث روايتها ولكن شابًا آخر هو من مر بصراعات الرواية وعاش أيامها ولكن الرواية لا تحمل اسمه في عنوانها أو شيء يعبر عن مشاعره التي مر بها ربما لأن كثيرًا يمر بأحداث مثيلة يعوم في ذلك الموج الحياتي ربما عام كثيرًا حتى وصل للشط وغيره يستسلم سريعًا في البداية أو المنتصف، ولكن الشط كان مريام فكانت هي العنوان..

ربما تميز كثيرًا عن غيره فلم يكن تقليديًا يحب الأشياء الحقيقية ومعناها الدفين، ولا يحب الزيف والتلون، متحملًا نتاج تلك الخيارات التي يختارها ويتحمل عواقبها ليرسم تلك اللوحة التي تحمل ألوانا حقيقية ترضي روحه وعقله.. وكانت أفضل أيام حقيقية في حياته هي تلك التي عاشاها مع مريام.. أيام مريام.

***



كالموج يعلو ويهبط..

يدق الهاتف بجواره على السرير نائمًا، أمه تتصل في ساعة مبكرة من النهار ما زالت السادسة وشروق الشمس يختلط ببعض السحاب الذي يحمل ظل الليل..يفتح عينيه ليجد اسم أمه على الهاتف فينظر بنصف عينيه اللتين يملؤهما النوم وفي صوت متهدج:

- ألو..

صوت به خليط من حشرجة النوم وقلق معاد الاتصال..

- إزيك يا ماما.

- إزيك يا ياسر معلش صحيتك.. الصراحة مقدرتش أنام من التفكير ومصدقت الصبح طلع عشان اكلمك.

- لا عادي طبعًا يا ماما طمنيني.

- لا مفيش خير إن شاء الله، بُص أنا من ساعة معرفت امبارح موضوع مريام وانا.....

أكملت حديثها فقد كانت على علم بما ستقول:

وبعدما أخرجت كل الكلام الذي ملأ صدرها طول الليل قالت بصوت يحمل الترجي والتمني..

- فكّر عشان خطري ومعلش إني صحيتك.

- لا بالعكس، كويس أنا كنت عايز أصحى بدري أجري عالبحر شوية.

قالت متعجبة:

- شوف بقوله إيه ويقولي أجري عالبحر!

استدرك قائلًا بضحكة تشبه الابتسام:

- حاضر حاضر حبقى أكلمك تاني أشرحلك اللي بفكر فيه.

- ماشي يا ياسر خلي بالك من نفسك.. سلام حستناك تكلمني.

- إن شاء الله.. سلام يا ماما.

أغلق هاتفه وفتح عينيه وصدره يرتفع من هواء قد كتمه فيه ليخرجه شيئًا فشيئًا، يحمل آهات لو ترجمت لردت عما يجول في رأس الأم من أفكار.

استعد للنزول كان الشاطئ قريب من منزله الجديد الذي انتقل إليه قريبًا بعد قرار الحياة منفصلًا.

شهيقًا عميقًا، أمام الأمواج المتلاطمة مغمضًا عينيه ليتذوق عقله ملامح ذلك المشهد الجميل في وقت مبكر.

بدأ في الجري، لم يكن يهتم كثيرًا بما قالته أمه فهو مستقل بقراراته منذ سنين، ولكن ربما ستدفعه هي للحديث معها بخصوص ذلك الأمر تقنعه حينًا وتلومه حينًا آخر.

وهنا توقف فجأة تسأله نفسه:

"ماذا لو كثر الكلام وبمرور الأيام فتنسى قناعاتك وتقل مشاعرك؟"

جلس يلاحق أنفاسه من الجري ينظر للموج فيجده يبدأ عاليًا ثم ينتهي به الحال مسطحًا، فربما تنتهي مشاعره يومًا بنفس الطريقة ولا يتبقى إلا أفكار كل من يعترض على ذلك القرار.

أخرج من جيبه قلمًا وورقة صغيرة من محفظته، وقرر أن يسجل بعض حصوات الجبل التي تصنع قناعته التي بنى عليها ذلك القرار حتى إذا نسي، نظر إلى تلك الورقة إذا قل ارتفاع تلك الأمواج.

فكتب..

لماذا سأظل أحب مريام؟

وهنا رفع القلم ليعيده كاتبًا الإجابة، ولكنه سافر بفكره إلى أبعد من تلك الإجابة، سافر ليأتي بذكريات الماضي وقصص قد مر بها شكّلت عمودًا في قراره..

سافر هو إلى عالم آخر وظل القلم معلقًا بين أصابعه.

جارة الشارع القديم

كانت حياته في المدرسة اهتمام بالدراسة، والبحث عن الحقيقة كان يلازمه في كل شيء، في قوانين الحياه والدين والمجتمع، يأخذ كل ما هو حقيقي ويلقي كل ما هو مزيف يتحمل أعباء ذلك الاختيار من متاعب واختلاف عن الآخرين يؤدي به أحيانًا لانطواء عميق، حتى وصل للجامعة وانتقل لمدينة أخرى ليدرس بكلية متخصصة،فكان من الأوائل في المدرسة، ساعده السفر على اتساع أفق ورؤية أكثر للواقع، ولكن الاصطدام بالواقع كان متلاحقًا تلاحقًا سريعًا ومتتاليًا كأنها تحارب قوته التي بناها في سنين البحث أو ربما تأخذه سريعًا إلى الحقيقة.

وفي إجازة صيفية كانت أول سلمة تُقرّبه من مريام..

كان جالسًا في بلكونة منزل الأسرة يتنفس الهواء النقي ويقرأ كتابًا يتحدث عن بناء المجتمعات والنهضة، فتنهد قليلًا وقال:

"كيف تنهض المجتمعات وقد تشبث الزيف في كل شيء.. في الدراسة لا علم فقط احفظ وسمع أو خد كورسات وظبط مع المدرس.. الخدمة

العسكرية بقت خدمة بس مفيش عسكرية تخدم ناس وخلاص.. الشغل (امضى وروح) مفيش إنتاج مجرد دوامة مزيفة لاستنـــزاف الأموال العامة يعمل وكأنه يعمل أما الإنتاج فلا شيء، فإننا نستورد كل شيء، حتى علم البلد نستورده ده لو لقى شغل أصلًا لأن الشغل واسطة أو أبناء عاملين.. حتى الفن أبناء ممثلين ومنتج يتحكم في مين يمثل ومين لا.. حتى الدين بيمثلوه في برامج تلفزيونية.. الصداقة مجرد تقضي وقت بدل الملل حتى الحب بقى مصالح.. تخيل المتعة بياخدوا عشانها مخدرات سعادة مزيفة.."

وهنا قطع تفكيره بنت تخرج من البلكونة في البيت المقابل لم يرها بهذا القرب من قبل، فكانوا سكانًا جديدًا، نظر إليها على استحياء ودخل.

وفي اليوم الثاني خرج ليجلس في ميعاده قبل الغروب بساعتين فخرجت وتكرّر هذا عدة أيام كأنها تنتظر وقت خروجه..

وكعادته لا يخشى من إظهار مشاعره إن كانت حقيقية، فأشار إليها فابتسمت ودخلت، لم تخرج عدة أيام حتى بدأت الدراسة.. ذهب ليقضي أول يوم مع أصحاب مدينته في الجامعة قبل أن يسافر إلى جامعته وهنا قابلها.. نظر إلى وجهها، نعم هي تلك الفتاة.. جارة البلكونة.

اقترب منها بابتسامة رقيقة:

- أهلًا، إزيك؟ أنا ياسر.

- آه، إزيك؟ عامل إيه؟ بس أنا أعرف انك بتدرس في مدينة تانية إنت هنا إزاي؟

– يعني لسة حسافر بس باجي أقضي يوم مع صحابي، انت بتدرسي هنا؟

– آه لسة سنة أولى، ربنا يسهل.

وامتد الحديث عن الدراسة وعن البلكونة، واختلط الجد بالضحك أحيانًا وأعطاها رقم موبيله،وطلب أن يراها مجددًا، واستأذنت لتُكمل باقي مُحاضرات اليوم.

عاد للبيت متذكرًا هاتين العينين المبتسمتين،لا يعلم أنها ابتسامة تصنعها العين فقط، ولا تعطي انطباعًا لما بداخل الروح، فما زالت خبرته في الحياة هزيلة.

وفي اليوم التالي اتصل به رقم غير مسجل بهاتفه:

– آلو.

– أهلًا ياسر أنا...

كان والدها، تعجّب ياسر، ولكن كان تقبله للموقف جيدًا، فربما هذا نظام أسري وعليه احترامه.

– عايز أقابلك شوف أي وقت مناسبك كلمني حكون مستنيك.

– حاضر إن شاء الله فرصة سعيدة.. سلام.

ذهب إليه..تحدّثا عما حدث من مقابلة بينه وبين ابنته، وفي هذا المجتمع ينظر إلى هذا الشاب كصاحب المستقبل الناجح.

فطلب الأب من الشاب إن كان لديه نيّة الارتباط فسيُشرّفه ذلك، ولكن ليتعرّف عليها اشترط الأب إعلان الارتباط بخطوة رسمية كقراءة فاتحة.

كعادته اتخذ قراره بنفسه، وحدّد الميعاد،واشترى دبلتين من ماله الخاص كان قد كسبه من شغل صيفي أون لاين..

وضع الأب بعض الشروط أمامه..شبكة مثل بنت خالتها وشقة ليست في بيت العيلة وفرح وعفش عليه.. أشياء كثيرة اعتبرها ياسر نظامًا أسريًا مجرد أشياء فرعية ستأتي تباعًا عندما يعمل أو يساعده أهله في بعضها.. لا يعلم أن تلك شروط أساسية لإتمام الصفقة الرابحة في عقلية الوالد..

كان غريبًا أن البنت التي كانت تُحادثه بطلاقة في الجامعة لم تهاتفه أو تتحدث إليه حتى أتى ميعاد الخطوبة المحدد.. على أي حال بدأ الارتباط الرسمي والتعارف.

فجأة وجد نفسه في جدول زمني لتحديد مكان الشقة، وسعرها ومكان شراء العفش وحتى زيارة البيت، معاد محدد منهم، ورؤيتها ومحادثتها محددة بوقت وموضوعات مسبق الاتفاق عليها..

***

مرّت أيام وأصبح جزء من جدول وكأنه يدور في رحى ولكنها منزوعة الغلال لا فائدة منها..

قرّر أن ينهي هذا الجدول الذي لم يشارك في وضعه ولم تتحرك حوله مشاعره.. لن تكون تلك الدوائر السوداء المغلقة هي حياته..

حياة أنسته حتى شكل عينيها اللتين رآهما أول يوم، ربما نسي كيف وجدها، ونسي يوم البلكونة وأول لقاء لم تكن أشياء في جدولهما لم يعد يذكر إلا كلامها الدائم عن دراسته المتميزة ومستقبله العملي وراتبه المستقبلي وجدولة ذلك بمواعيد، لم يعد يذكر إلا عندما قال لها:

- وحشتيني.

فقالت:

- سيبك من الكلام ده وركز بس في مستقبلك، دور من دلوقت على بلد بره تشتغل فيها..نعم فأنت الآلة المنتظرة أن تجني لنا ثمارًا.

لم تكن طباع الوالد طباعًا شخصية ولكنها أفكار أصيلة تتحكم في الأسرة ككل، اكتشف ذلك فيها، هي أيضًا حتى الأم والأخوات كانوا يمتلكون أفكارًا ومبادئ متماثلة وتختلف درجات فقط..

انتهت تلك العلاقة بقرار منه دون إبداء سبب متحملًا عواقب ذلك مجتمعيًا في حيه الذي يسكن فيه..

وعادت الحياة من جديد.

***

زميلتي ومدينتي

لم يتأثر كثيرًا بتلك التجربة فلم تترك فيه انطباعًا إلا أنها كانت خطوة تدفعه إلى طريق مريام..

يدخل ياسر معمل الكمياء متأخرًا سريع الخطى تصطدم يده في نانسي فيسقط الكتاب من يديه، فينحني ليمسكه في نفس وقت انحنائها فيصطدم بها مجددًا، فيقدم اعتذاره بطريقته اللينة المعتادة حتى يقاطعه المحاضر..

- ممكن ننهي الحديث ونركز في المحاضرة يا حضرات..

ناظرًا إليهما بعينيه.

تكتمل المحاضرة إلا أنه يلاحظ عينيها تلاحقانه مرة تلو الأخرى.

تذكّر أول يوم في الجامعة عندما كانت تنظر إليه بنفس الطريقة عندما ذكر اسم مدينته الساحلية التي ولد بها في المحاضرة التعريفية.

تكرّر الأمر في المحاضرة الأسبوعية فقرّر أن يكلمها..

خرجت فخرج بجوارها..

- إزيك.

- أهلاً عامل إيه؟

- الحمد لله وانت عاملة إيه؟ أخبار بلدنا إيه؟ عجباك ولا الحياة صعبة؟

- لا حبيتها الصراحة بقيت واخد عليها زي مدينتي.

- لا متجاملش أنا مش شايفه كده.

- طب تعالي نخرج بعد اليوم ميخلص أفرّجك على جمالها.

- أوك اتفقنا.

- ده رقمي.

وتبادلا الرقمين بابتسامة تبدو من أحد الاطراف ابتهاجًا بالموقف، ومن الآخر شغف إلى شخص يعيش في مكان تحب الانتقال إليه..

***

تقابلا قبل ميعاد الغروب بساعة..

- تعالي أوريكي جمال المكان..

وذهب إلى مكان كان يحب رؤية الغروب فيه..

كان ينظر إليها ويظن أنها ستسحر بذلك المشهد الخلاب تتناثر أشعة الشمس وسط الجبال التي تحيطها السحب وألوان الطبيعة تختلط معًا لتأتي بسحر يحيطه الهواء الرقيق الهادئ، ولكنها أعطت ظهرها هذا كله وقالت بشغف طفل صغير:

- لا كلمني عن مدينتك أنا بحبها جدًّا من صغرى بحلم أعيش فيها الصراحة.

- أكيد مش في جمالك.

- بجد..

قالتها واقتربت خطوة تلامس فيها يداها أصابعه.

لم يتمالك روحه فقد خرج من علاقة تحمل من البرود ما يكفي لتشتاق إلى مثل هذه المواقف.

اقترب أيضًا وعيناه تتحدثان عن الحب إلا أنه لا يعلم أن عينيها تبادلانه حبًّا ولكن من نوع آخر.

طال الحديث مجددًا من ناحيتها عن مدينته كأنها لا تلمس يديه بل تلمس شواطئ مدينته.

بدأ الليل في الدخول، وكلما تحدث في موضوع مختلف عادت هي لنفس الموضوع مجددًا،حتى مل وانتهى اليوم، وعاد لسكنه ليكمل واجبات الدراسة مع رفقائه التي كانت تأخذ معظم الوقت منهم..

رن هاتفه باسمها.. أخذ الهاتف وذهب منعزلًا:

- نانسي إزيك؟

قالها في تلهف:

- الحمد لله..

قالتها مسرعة لتدخل في أصل الموضوع.

- معلش عندي سؤال غريب.

- لا عادي اتفضلي طبعًا.

- هو انت لما تتجوز حتسكن في مدينتك ولا حتروح مكان تاني؟

استغرب من السؤال ونظر إلى ساعته فكانت الواحدة بعد منتصف الليل.. ربما كان يتوقع كلامًا آخر في هذا التوقيت.

قالها ببطء وأسنانه تعض شفتيه السفلى..

- ححاول آه

- لا لازم يا ياسر

تأخّر مجددًا في الرد..

- وانت أخبارك إيه؟

- تمام، ماشي الحال.

- حروح أكمل الهوم ورك عشان لسة بدري.

- أوك سلام.

- سلام.

عاد إليه إحساس اعراض الانسحاب من العلاقة فتجنب الحديث إليها وأصبح يرد متأخرًا ليس إلا لأنها تحركه إلى المشاعر الحقيقية..

وانتهت العلاقة تدريجيًا من الطرفين.. عادت الحياة إلا أن شيئًا حدث بعد شهرين.. صاحبه في الجامعة والذي أتى من نفس مدينته يتصل به..

– ياسر حخطب الشهر الجاي لازم تيجي.

– مبروك يا صديقي، فجأة كدة؟

– عقبالك يا رياسة.

– حتعمله فين؟

– لا هنا أصلها عايشة هنا.

– معانا في الكلية؟

– آه نانسي عارفها؟

تأخر قليلًا يأخذ أنفاسه.

– ممم مبروك يا صاحبي ربنا يتم بخير.

***

بعد الخطوبة بأيام كان يرافقه في أتوبيس السفر من مدينته إلى الكلية فكان رفيقه يحدث نانسي فسمع أن الحديث مع صاحبه كما كان معه لا تزال تتحدث عن تلك المدينة.

امتعض قليلًا وكاد أن يتحدث إلا أنه كظم غيظه ووضع سماعات هاتفه في أذنه ليستمع إلى أي صوت يبعده عن سماع المحادثة.

شعور تسرب لديه وهو ينظر إلى شباك الأتوبيس كأنه طفل لا يزال يتحسس المكان الذي وضع فيه يتخبط لا يدري الطريق.

وكانت هذه خطوة جديدة تدفعه إلى مريام..

***

متدينة أم متدنية؟!...

ظل يسأل نفسه:

" هل الحب هو من يجعلك تشعر بجمال المكان حولك أم أن أشياء أخرى هي من تصنع السعادة ونانسي على حق."

لم تمر تلك المرة كسابقتها فقد تركت فيه انطباعًا يجعله يميل للعزلة.. ولكنه وجد أن العزلة لا تفيد..سيبحث عن شيء نقي ربما يخرجه من ذلك النفق المظلم الذي يشعر أنه يسلكه..

وجاءته الفكرة ليلًا لماذا لا أستغل وقتي وقدرتي على الحفظ في حفظ القرآن.. ربما يساعد أيضًا على فتح علاقات مع أناس جدد أيضًا..

سرعان ما نفذ ما فكر فيه وعاد في إجازته الأسبوعية ليذهب إلى مركز كبير لتحفيظ القرآن.. تعجب أنه فقط للتحفيظ لا يدرس معاني ومبادئًا وأحكامًا، ولكنه دخل متحمسًا..

– لو سمحت عايز أحفظ بس لو شيخ يسمح وقته أكتر عشان ححفظ كميات في وقت قياسي.

قالها متحمسًا، وهو يحمل في يده أوراق وقلم ومصحف صغير.

ابتسم الموظف لحماسته ورفع سماعة تليفون المكتب ليتواصل مع الشيخ المتاح وتجهيز معاد.

قابل ياسر الشيخ، وكان حسن المظهر مضيء الوجه، نظيف الثوب هاديء الصوت، بشوشًا، ترك فيه انطباعًا حمسّه لهذه التجربة..

قال ياسر متسرعًا قبل التعارف..

– أنا أقدر أحفظ القرآن في سنة بس حتتعب معايا لأني ححتاج وقت مكثف ودراسة قواعد وتمتين ومراجعة ولو روايات يبقى أفضل..

ابتسم الشيخ ولمس كتفه وقال..

– حتقدر؟

– إن شاء الله.. قالها بنظرة قوة.

– طب نجرب.

وبدأ لتوه شرح أول قاعدة في التجويد وكان التطبيق من ياسر مذهلًا.. فدخل في قاعدة أخرى حتى استمر خمس ساعات وأنهى القواعد بالكامل وكأن ياسر قد درسها من قبل..

تعجّب الشيخ، وقرّر أن يهب وقته لهذا الشاب الذكي المتحمس..

أنهى ختم القرءان قبل المعاد،وكان متقنًا،وأعطاه الشيخ شهادة بذلك..

ابتكر ياسر طريقة جديدة في تعليم قواعد التجويد تدرس لمرحلة الشباب بطريقة مكثفة وسهلة ومحكمة.. شجعه الشيخ على ذلك واقترح عليه تدريسها في مركز التحفيظ.. بدأ الإعلان عن الدورة وتم تطبيقها وكانت ناجحة واشتهرت في المكان حتى طلبت إحدى الأخوات المحفظات في الدار أن تكون الدورة مختلطة شبابًا وبنات وهذا لم يكن يحدث من قبل، ولكن لن يحدث اختلاط بالشكل المعروف بالإضافة أنها ليست تحفيظًا، فهي دورة قواعد فقط..

تم الموافقة وانضمت مجموعة من البنات مع الشباب، وتكرّر ذلك وكان ناجحًا.

حتى جاءته رسالة على هاتفه الشخصي من رقم غريب:

"أنا ياسمين،منقبة متعرفنيش بحضر معاك في الكورس وبصراحة اتردّدت قبل مكتب الرسالة دي عشان حسّيت إن حرام أكلمك، بس أنا معجبة بيك فاتجرّأت وعملت كده، ولو تحب تعرفني ده رقم بابا وممكن تشوفني من غير نقاب لو جيت البيت وطلبت منه ده.."

كان ذلك شيئًا جديدًا عليه، أُعجب بجراءتها التي رأى فيها نفسه، وكعادته المتهوّرة اتصل ليخوض تلك التجربة وحدّد ميعادًا مع الوالد.

رفعت نقابها على استحياء واجتمعت أعينهما، لم تكن على قدر من الجمال،ولكن انبهاره بالموقف جعله يتقبل ذلك،وأقنع نفسه أيضًا أنه يكفي تعلمها الدين كما يظن،وأبدى موافقة مبدئية ظهرت في كلامه مع الوالد..

طلب الوالد منه مهلة أسبوع لاستشارة البيت وصلاة استخارة من الطرفين ويتصل به ليقول كل الطرفين رأيه في الأمر..

عاد لبيته وأخبر صديقه الذي تعرف إليه في مركز التحفيظ منذ أيام.. فسأله:

– مين هي؟

– أخت اسمها ياسمين.

ردّ بتردّد:

– تقصد ياسمين المنقبة؟

رد في توجس:

– آه، تعرفها؟

– أعتقد دي اللي خطبها أيمن اللي معانا في المركز من فترة.

رد مستنكرًا.

– بس مقالوليش إنها مخطوبة ممكن تكون احدة تانية.

ردّ في هدوء ليطمئنه:

– عادي ممكن نسوا أو مكنش أمر ذو أهمية، عمومًا ده أكونت أيمن بتاع الفيس لو حابب تكلمه تتأكد أو أي حاجة في بالك بتفكر فيها شوف.

- تمام، شكرًا، إن شاء الله خير وعادي يعنى بس ماشي مفيش مشكلة أشوفه.

فتح حسابه على الفيس بوك، ودخل للبحث عن أيمن ليجد شيئًا..

وجد أيمن قد وضع بوست به رسالة سكرين شوت مُرسلة من ياسمين وبنظرة للصورة، والأكونت نعم هي، فنظر لمحتوى الرسالة فوجد مكتوبًا بها:

"ياسر اتقدم لي اللي بيدرسلنا في المركز وحافظ القرآن كله مش زيك، عشان تعرف إن مش ياسمين اللي تتساب.. أنا حخليك تندم."

أغلق الفيس مّتخبطًا..

" أعمل إيه؟ مش مصدق.."

يعض على شفتيه ناظرًا إلى الأرض مرة وللسقف مرة.

نظر للساعة، وهو يسارع أنفاسه وكان الوقت متأخرًا.

لم يتحمل انقضاء الليل من التفكير حتى أتى النهار، اتصل بالوالد واعتذر وقال:

- آسف كل شيء قسمة ونصيب، واتشرفت بمعرفتكم..

لم يبدِ أسبابًا يتحمل دائمًا أن يظهر بصورة المخطئ كعادته حتى لا يفضح الآخرين أو يدخل في جدال يؤذي فيه غيره، وانتهت العلاقة..

هل سيعتزل مرة أخرى؟

ولكن شيخه المضيء كان شيئًا يحفزه إلى الثبات بأن في الطريق كثيرًا صالحين، ولكنه قرر أن يعود بمفرده ويأخذ فقط مكتسبات التجربة معه، ربما تضيء له طريقه الذي يسلكه وحيدًا وأغلق تلك المرحلة.. تغيّرت بعض ملامحه التي رسمها في هيئته شيئًا فشيئًا حتى عاد من جديد إلى قوقعته العتيقة،وغابت شمس تلك التجربة لتعلن عن شروق شمس يوم جديد يأخذه يومًا للأمام لميعاد مريام.

***

الحب والثورة يحيان معًا ويموتان معًا...

لم يكن ارتدادًا عما كان عليه، ولكن مرحلة أكسبته أن تمييز الناس ليس سهلًا لهذه الدرجة..

ولكن شيئًا حدث في البلاد غيّر كل شيء، انتفاضة ضد الفساد والظلم، تجمع حشود كبيرة من الشباب وشاركهم معظم طوائف الشعب وتم الإطاحة بنظام الحكم.

مرت بعدها البلاد بسنين من التمزق والانتفاع والتضليل بعدما تكالب المنتفعون من كل طائفة للسبق للتكسب من الحدث، أحداث ضغطت على العامة فبعدما تأمل الناس المستقبل أخرجت أسوأ ما فيهم، ولكن ياسر اختار طريق الشباب الثائر الداعي إلى تصحيح التعليم وضمان الصحة والحياة الاجتماعية الكريمة للمواطنين والحرية التامة واحترام القانون،

واشترك في أنشطة كثيرة في بداية الفترة عقب الثورة والتحق بأنشطتهم داخل الجامعة حتى أنه ترشح ليمثل الطلاب واختاروه ممثلًا للجامعة.. فكانت الثورة في بدايتها كالشابة قوية مليئة بالأمل تمكن فيها الشباب كياسر لاستعمال أوقاقم في التغيير وتصحيح الأوضاع المجتمعية، ومرت أيام في نشاطه وكان ناجحًا جدًّا حتى كان رئيس الجامعة والذي ينتمي للنظام القديم يتودد له ولزملائه محاولًا الحفاظ على منصبه والتكسب مما حققه الشباب، وظل الحال هكذا حتى رأى بنتًا في الكلية ترتدي ثيابًا غير المعتاد عليه من بنات هذه الجامعة.

نظر إليها وابتسم، وفي نفسه يقول:

" هي الطالبات بدأت تتغير بعد الثورة ولا دي ناس غريبة؟.. "

اقترب ونفس الابتسامة عالقة في ملامحه وفي هدوء المتعجب:

- انتِ معانا أنا مشفتكيش قبل كدة؟ أنا إسمي ياسر ممثل الطلبة.

قالت وعليها ابتسامة، ولكنها تحمل بعض الخوف، ربما موقف جديد عليها:

- لا الحقيقة أنا موظفة جديدة متعينة أبناء عاملين متخرجة السنة اللي فاتت عشان كدة باين عليا طالبة.

أكملت وعلى حركة وجهها التكبر المرح:

- وحكون مسئولة عن الأنشطة الطلابية وكده.

رد وكأنه يفتح باب الصداقة متجنبًا أنها أكبر في السن وقال:

- ده معناه إني حشتغل معاكي، فرصة سعيدة جدًّا حنكسّر الدنيا هاتي بقى رقمك وابقى أكلمك أحكيلك عملنا إيه الفترة اللي فاتت والورق اللي متأخر وحنعمل إيه وكده.

- تمام هات وارنلك سجلني، نجلاء.

وتبادلا الأرقام وانصرف ملوحًا بيده وعليه نفس الابتسامة لا تزال عالقة وعينه لا تغادر عينيها إلا بعدما انصرفت..

***

بدأت تحادثه يومًا فيومًا، تتفهم منه تفاصيل العمل، وترتيب الأنشطة، وجدت فيه الرجولة والقوة في الحق والوطنية ومساعدة الآخرين والصداقة الكاملة..

اكتمل ذلك الإحساس عندما سلمت بعض فواتير المشتريات وكانت مكتوبة بتواريخ مخالفة لتاريخ النشاط التي اشتريت من أجله، كان ذلك خطأ عدم وجود الخبرة، فقد اعتاد التجار كتابة تاريخ الفاتورة باليوم الذي خرجت فيه، ولكن النشاط يشتري وينفذ أنشطته ثم يمر على التجار دفعة واحدة ويجمعوا الفواتير، فكان من الطبيعي تذكرة التاجر بذلك ليغير التاريخ أو يتركه فارغًا وتؤرخه هي بنفسها ولكن هذا لم يحدث..

تسبب ذلك في اتهامها من مسئولي المالية بالتزوير والتهديد بقضية..

كانت خائفة فهي في بداية حياتها العملية..

تواصل ياسر مع رئيس الجامعة ومع مسئولي المالية وشرح لهم ما حدث، وأنه مجرد خطأ، وكان في ذلك الوقت يحاول الجميع استرضاء الشباب الذي قام بالثورة، فتم التغاضي عن ذلك من أجل ياسر، وأُعيدت الفواتير ليعاد تصحيحها..

خرجت من تلك الأزمة فتقرّبت منه أكثر ووثقت به أكثر حتى مرت أيام ومواقف، وبدأ إحساس جديد من الطرفين.. لم يعد الكلام عن النشاط والعمل فقط..

تقابلا مرارًا حتى أصبحت الصداقة مشاعر جديدة، وفي يوم وفي أثناء فيلم رومانسي اقتربا حتى كادا يتعانقان، واتخذت العلاقة شكلًا وإطارًا جديدًا.. بعض طلاب الجامعة كان يشاهد ما يحدث وتأكدوا أنهما هما عند خروجهما من السينما.

انتشر الأمر في الكلية مرة كمزحة حب الطالب والموظفة ومرة كجد كقصة حب لمن يعرف ما حدث في أزمة الفواتير وكم قضى وقتًا من دراسته ليقف بجانبها..

كانت الثورة تمر بمأزق أيضًا في هذا الوقت، صفقات بين القوى المسيطرة على الدولة منها النظامي ومنها الديني ومع التشويه الإعلامي وضعف الاقتصاد والفقر والجهل تنازل الناس عن ثورتهم شيئًا فشيئًا، ولم يعد للشباب قوة كما كانت فمنهم من هاجر، ومنهم من سجن، ومنهم من أهدر وقته بلا نفع، فعاد وترك ثورته وتكالب عليها آخرون، فمنهم من انتفع، ومنهم من فتك بعضه ببعض، وعادت الحياة كسابقتها.. ظهر

ذلك في الجامعة أيضًا لم يعد رئيسهم يتودّد للشباب كما كان، بل بدأ ينحيهم جانبًا ويوقف أنشطتهم.

انتشر أمر ياسر ونجلاء ووصل ذلك لرئيس الجامعة، اتخذ ذلك حجة للفتك بهما، وفصلها ووقف النشاط.

ذهب ياسر وزملاؤه لمقابلته ليثنوه عن قراره، ولكنه رفض مقابلتهم..

كان لنجلاء جار يعمل بالدولة في النظام القديم الذي تحكّم في البلد مجددًا فتوسط لها عند رئيس الجامعة، فوافق على عودتها بشرط نقلها للإداريات بعيدًا عن التواصل مع الطلاب، وسيتم فصلها في حال تكرار ذلك..

انطفأ الحب لديها كما انطفأت الثورة في البلاد فقد أخذهما الخوف والتخبط في بداية الطريق..

ولكن ياسر لا يزال ثائرًا لم يكن على علم بما حدث فظل يبحث لها عن عمل لأنه يظن أنه شارك في إيقافها،ولكنها توقفت عن الرد عن اتصاله أيامًا، وهو يبحث حتى سأل عنها زميلة موظفة، فأخبرته بما حدث وأنها عادت وانتقلت ولكن إدارية، فرح لعودتها ولم يتمالك نفسه حتى ذهب لمكتبها..

تفاجأت به يدخل فقامت بدون أن يتكلم وبشدة وكأنها تريد أن تسمع من حولها:

- إنت إزاي تدخل المكتب ده إنت ملكش نشاط هنا، اتفضل لو سمحت.

تفاجأ، ولكنه لم يكترث، فقد عادت وهذا ما كان يهمه.. نظر إلى الأرض،فكان الموظفون ينظرون إليه وهو ممثل الطلاب صاحب القصة التي تحدّث عنها الجميع وخرج وفي وجهه حمرة الخجل.

كما طرد الشعب الحرية خوفًا على نفسه فعلت هي الأخرى وطردت الحب.

حاول مرة أخرى الاتصال بها فبلّغت زملاءها أن يبلغوه ألا يخاطبها مرة أخرى ويكفي ما حدث.

لم يكن على شك من حبها له، فقد همست بها في أذنه في السينما وقالتها شفتاها:

- بحبك.

انتهت التجربة، ولكنها انتهت بألم مضاعف، ألمه عليها مرة، وعلى الثورة مرة..

علم لاحقًا أنها بعد فترة تزوّجت مديرها في الإدارة وكانت لا تحبه وكان مشهورًا أنه بخيل يأخذ راتبها بحجة أنه يحافظ على أموالها لأنها مسرفة ويعطيها القليل.. حتى النسكافيه الذي كانت تشربه يوميًا مع ياسر منعها منه لأنه يراه رفاهية، ويضيع جزءًا كبيرًا من مدخراتها، لا يعلم أن ذلك أساسيًا في حياتها..

عاد، ولكن لم تعد حياته كما هي، فقد سلب منه الحب وسلبت منه الثورة..

الخطيئة...

انتهت الدراسة وحصل على شهادة عليا، أنهى أوراقه واستعد للانتقال إلى فترة جديدة من حياته وهي العمل، لم يستطع أن يصل إلى مكانه الطبيعي في بلد انتهت فيها الثورة وامتلأت بالفساد والرشوة والوساطة والمحسوبية، لم يتحمل المكوث في المنزل وقرر البحث عن العمل بغير شهادته مؤقتًا حتى يتسنى له وجود عمل مناسب..

وجد عملًا في الجريدة كبائع في معرض لأجهزة الكمبيوتر المحمولة وأدوات الهندسة، لم يتوقع أن هذا ما ينتظره بعد انتهاء الدراسة، ولكنه تقدم، وبدأ العمل، وتأقلم فيه خاصة أن زميلته التي كانت تعمل معه كثيرة الضحك ترفه عنه بكثرة الدعابة..

كان يشعر أحيانًا أنها تتحرش به من باب الهزار، فتلمس صدره بظهرها عند جلوسه وتقول في ضحك متقعدني شوية، وكلما مرت به تمرر يدها على ظهره بطريقة تثيره إلا أنه يعلم أنها مخطوبة، فكان ملزم على نفسه الثبات والاتزان..

إلا أن أتى يوم وكانت تكلم خطيبها في الهاتف.

– هاي حبيبي واحشني، بعشق أمك، حشوفك امتى يا روحي..

وكان يبدو على مشاعرها الشوق، إلا أنها في نفس الوقت كانت تتحرك وتقترب من ياسر مبتسمة تلامس ظهرها بصدره برقصة شبه جنسية ناظرة إليه ويدها على خده مكملة محادثتها مع خطيبها بنفس الطريقة..

انتقل إليه إحساس بغيض ينحل في إنسانيته شيئًا فشيئًا..

مر أسبوعان من العمل المرهق أحيانًا والممتع أحيانًا، وكان راتب نصف الشهر في هذا اليوم، فكان هو وزميلته فرحين بالمرتب، ولكن كان لزامًا إحضار البضاعة الناقصة من المخزن في هذا اليوم ككل أسبوعين..

ذهبا معًا.

كان الجو حارًّا قليلًا في مكان ليس به طرق جيدة للتهوية بعكس خارج المعرض الذي كان شتويًّا تملؤه أمطار.. بدأت ملابسهم تلاصق اجسامهم اقتربا وأنفاسهما ساخنة وكعادتها تتحرش بطريقة تدل على أن الأمر ليس جادًّا، ولكن هذه المرة كان تحرشًا كاملًا.

لم يتمالك فكانت أول مرة يجد نفسه في هذا الموضع بهذا الشكل وكأن الشيطان كان في موضع الجو الحار، فأنساهما أنفسهما، واقتربا وكانت قبلة ساخنة، كان يبدو عليها أنها أكثر منه خبرة في ذلك، فبدأت هي بالخطوة التالية، تماسك قليلًا وقال في اهتزاز..

- بلاش بلاش انت مخطوبة.

قالت في هدوء بضحكة:

- شكلك مبتعرفش.

في خضم شهوتهما كانت الخطيئة..

انتهى الأمر بإخراج مناديل مبللة ومكياج من شنطتها.. ربما كانت تتعرض لمواقف شبيهة كثيرًا، فكانت حركاتها تلقائية بدون اضطراب..

عادا إلى المعرض وقد تعلّقت الخطيئة برأسيهما وحول عنقيهما..

حاول ياسر استدراك الموقف وتعامل بشكل طبيعي،وكان الجو بالخارج مختلفًا عن المخزن يحمل بعض البرود وتساقط القليل من المطر.. أحضر الشاي وشربا معًا وكان يحاول إخفاء عينه منها، فقد امتلأ بالخزي وشعر بالخطيئة ولكنها كانت طبيعية وكأن شيئًا لم يكن.

اتصل خطيبها.

- أعدّي عليكي بعد متخلصي.

- إشطه تعالى حستناك بس متغبش عشان مسقطة شوية.

- أبوكي عادي ولا إيه النظام؟

- حقوله بنتفرج على قاعات أفراح طالما حوار مفهوش فلوس عليه مش حيدقّق.

- فل تمام سلام يا حبي.

- موااااه سلام.

تساقطت أشياء من روحه التي تلوّثت بالخطيئة كما يتساقط المطر خارج المعرض شيئًا فشيئًا.. تمالك نفسه حتى انتهى اليومن وفي طريقه للعودة كان ثقيلًا على قدميه، فالخطيئة تتعلق به تجره للأرض لا يشعر بالطريق، يفكر فيما حدث حتى رن هاتفه صديقه في الجامعة يتصل..

- ياسر عامل إيه يا صديقي ينفع كدة مكلمكش من بعد التخرج، افتكرتك لما شفت إعلان شركة طالبة الشغل اللي إنت نفسك تشتغله كله سفر..

- حبيبي ربنا يخليك والله.. الإحباط وإني ملقتش شغل والمكان اللي شغال فيه مؤقتًا دة خدني خالص وحشني كتير بس حلو ده قولي شركة إيه، إيه الكلام؟

- شركة دولية فاتحه فرع هنا.

قال ياسر وانخفض صوته من الإحباط..

- دولية! لا يا كبير لا فيه واسطة ولا خبرة مش حنتقبل.

- يا أخي تعالى بس ونشوف مش حنخسر حاجة.

- طب تمام نتقابل في تعالى قطر حتلاقيني مستنيك في المحطة أول متوصل ونروح سوا من هناك.

- اتفقنا إن شاء الله سلام.

- سلام يا باشا.

أغلق فرحًا، شيء يعطيه الأمل ويخلصه من اليوم الماضي الذي تلوثت فيها بقايا روحه المتهالكة سائلًا نفسه كيف لهذا الوجه الضاحك البريء أن يحمل هذا الخليط المتناقض؟ وكيف لنفسه التي تأبى الزيف أن تسقط في الهاوية كما حدث؟ لن أذهب إلى العمل مرة أخرى حتى وإن أخفقت في تقديمي للشركة غدًا..

هكذا حدّث نفسه لعله ينسى سوءته التي رآها وخطيئته التي أنكرها..

بات جاهزًا لسفره لعله يجد مخرجًا جديدًا وضوءًا يهديه للطريق..

***

أشباه الرجال...

أخرج لباسًا يليق بالمقابلة واستعمل عطرًا مُفضّلًا ربما يشعر في يده برعشة، هل من برد الليل أم خوفًا من عدم توفيقه في أخذ الوظيفة التي هو ذاهب من أجلها أم أن يده تبكي عما حدث بالأمس؟

نزل يتحسّس الطريق تحت البلكونات فالمطر زاد ليلًا، وكأنما يريد أن يغسله من خطيئته..

ركب القطار، أمل يحيطه الإحباط.

" أكيد مش حيقبلوني، بس ليه لأ"

عقله ظل مشغولًا طول الطريق يقطعه اتصال طارق ليخبره بوصوله للمحطة وأنه في انتظاره، فقد ركب هو أيضًا قطار الليل من مدينته ولكنه سبقه بدقائق.. تقابلا وتبادلا التحية والأحضان.

– كده مشفتكش من الدراسة وحشتني يا ياسر والله، إيه قصة الشغل المؤقت اللي قلت عليه ده؟

- وانت كمان والله، آه في معرض كده حبقى أحكيلك عنه بس سبته يعني، وانت مشفتش حاجة كده؟

- لا يا عم مليش انا في الأشغال دي يا تخصصي يا بلاش بس يلا ناخد تاكسي عشان منتأخرش الصبح طلع والشوارع حتتزحم والسكة بعيد شوية.

- ماشي يلا بس طمني عليك وأخبار بنت خالتك إيه لسه قصة الحب العنيفة والمكالمات الليلية؟

- آه اتجوزت.

- إيه ده إزاي يعنى مش فاهم؟

- جه واحد جاهز وقالك في شهرين وهي أهلها جاهزين ووافقوا.

- طب وانت والخمس سنين حب غير الإعجاب قبل كده وكلامكوا ووعودكوا؟

- لا يا عم هي كلمتني قالت حستناك بس تعالى قولوهم، حتى لبّسني دبلة، وانا حموّت نفسي قدامهم عشان يوافقوا، قلتلها لا صعب الطريق لسة طويل أنا عايز أجيب شقة في مكان حلو وعربية وأكوّن نفسي الأول،

نظر ياسر إليه وفي عينيه غضب محاط بإرهاق من عدم النوم ووجهه متعجب، كأنه يسأل كيف تتخلى عنها بعد كل هذا والحب والسنين والكلام بينكوا؟

استكمل طارق:

- بس هي قالتلي حتفضل تحبني وتكلمني لحد آخر العمر.

قالها وفي عينيه خبث، وفي وجهه كبر وغرور وانتصار لنفسه، وفي صوته ضحك المستهتر.

ياسر لم يتمالك نفسه بصوت عالٍ على غير عادته..

- إزاي وجوزها اللي أمنها على اسمه وسمعته وفيه بينهم عقد شهد عليه ناس انت إزاي تقبل كده؟

- يا عم أنا لو عليّا مش مشكلة بس هي مش قادرة حوريك مكالمتنا ليلة الفرح موبايلي بيسجل المكالمات تعالى بس نركب.. تاكسي.

وأشار بيديه وتقدم وذهب ياسر خلفه يجر في نفسه.

ركبا التاكسي متجهين إلى مكان المقابلة، أخرج طارق هاتفه.

- اسمع يا عم..

استغرب ياسر من أن ذلك يحدث على مسمع من السائق.

بدأت المحادثة..

- حبيبي أنا بعيط بجد بقى مش قادرة.

- معلش يا حبي جسمك حيبقى معاه بس روحك حتفضل معايا.

- لا يا طارق وجسمي كمان معاك، أنا حتخيلك مكانه معايا الهاردة..

وبكت بحرقة دون رد من طارق.

أوقف طارق المكالمة وضحك هو والسائق بصوت عالٍ متقطع بضحكة تحتوي الجملة التي قالتها: ههه بتقولك ههه حتتخيههلك مكانههههه..

ياسر مشمئزًا:

- إنت إزاي عملت كدة از..

لم يكمل كلماته ونظر من شباك التاكسي

قال طارق:

- بص كده شايف الراجل اللي هدومه قديمة، وشايل عيش ده، لو اتجوّزت حبقى زيّه.. لا يا عم لسه بدري.

قال ياسر متجهمًا وما زال لا ينظر إليهم.

- الراجل ده أشرف مننا كلنا بيضحي عشان أسرته.

السائق مستغربًا:

- يا عم متعقدهاش كدة البنات يوم متطلب يحب حيلاقي ميت واحدة، أنا واحدة ركبت معايا اعدنا نحكي طول السكة أخدت رقمها وكل مجوزها يترل من البيت تكلمني أروح أقضي معاها الحب في البيت ساعة وأنزل..

ياسر بغضب:

- حب إيه اللي بتقضيه؟ ده زنا وقرف وخيانة وسرقة وقلة دين ومباديء وانعدام مشاعر وشهوة وحيوانية وأصلًا أنا بتكلم عن مشاعره معاها ومشاعرها مش بتكلم عن يقضي وأي بنت وقرف وو ... بس بس

قالها ياسر وانفصل تمامًا إلى جهة الشباك.

ضحك السائق وقال لطارق بجانبه:

- لا يا عم صاحبك صعب ده شكله حيبقى زى اللي حتتخيلك مكانه هههههه يا عم قضيها..

وصل التاكسي دفع طارق الحساب مع ضحكة مجددًا من السائق حتخيلك مكانه واضعًا يده على فمه وكأنه يداري كلماته من ياسر مشيرًا بأطراف أصابعه إليه..

دخلا المقابلة ربما ما سمعه جعله شارد الفكر حتى أصبح كلامه بطيئًا ذلك كان له تأثير جيد على اللجنة ظانين أنه شيء من الوقار والهيبة.

انتهى اليوم وعاد لا يعلم ما ينتظره، هل سيعمل في شركة كبيرة دولية مثل هذه أو سيكون إحباط جديد، وبحث عن عمل مؤقت مرة أخرى..

عاد هو وصديقه وأنهيا اللقاء في المحطة.

- ياسر متبقاش معقد عشان تعرف تعيش ومتقدّسش المشاعر كدة دة المثل بيقول اكرف البت تحبك حب البت تكرفك محدش يستاهل صدقني، حسيبك بقى وربنا يسهل ونتقبل.

عاد لبيته نام سريعًا متعبًا من السفر كان خيرًا له أن ينام، بدلًا من التفكير في ما رآه من أشباه الرجال..

وأتى يوم جديد..

***

اذكريني.. لا تذكريني...

ينظر طول النهار إلى موبيله هل سيتصل به أحد ليخبره عن قبوله في الشركة.. لم يتصل إلا المعرض ليسألوا عن سبب غيابه أمس واليوم، لم يرد، كان مشتتًا هل سيجلس في بيت أبيه هكذا كالصبي، نعم فهو مستقل في منذ سنوات بسبب سفره للدراسة وفي البيت في حجرته ولكن ما زال تحت سلطتهم، هل يعود ليعمل بنفس المكان الذي تلوثت فيه روحه أم ينتظر أم يبحث عن مكان جديد؟

جاء الليل وهدأت الأصوات في المنزل، استلقى على سريره يشاهد قنوات التلفزيون.. غيَّر قناة فوجد شابًّا يضع المكياج الخفيف زارعًا شعرًا ويرتدى لباسًا تظهر عضلاته ويحرك جسمه كأنه يغرى مشاهده وبيده حظاظة ولكنه كان يتحدث في الدين عن صحابي وقصة تدل على مدى زهده، لم يجد ذلك مناسبًا، فغيَّر القناة ليجد مذيعة تتحدث في شئون الدولة وإنجازات الحكومة ضحك ياسر ساخرًا فما وصلت إليه البلاد من سرقة الثورة والانهيارات المتلاحقة اقتصاديًّا وصحيًّا واجتماعيًّا وإعلاميًّا

وحقوق إنسان وحريات لا يدعو للحديث عن إنجازات، مر على قناة أخرى، أفلام جديدة لم يهتم أن يقرأ اسم الفيلم فنوعية أفلام الراقصة والبلطجي وشوارع تحكي عن مستنقع مجتمعي لم يكن شيئًا يتوافق مع أفكاره، انتقل إلى قناة تعرض أفلامًا كلاسيكية قديمة.

فإذا فيلم في بدايته يبدأ اسمه اذكريني..

بطولة نجلاء فتحي ومحمود يس.. رفع من مستوى الصوت وترك الريموت من يده وبدأ يسرح في أحداثه، موسيقا رومانسية في بدايته وشكل غروب الشمس من البحر يجذب روحه، بدأت نجلاء فتحي وكان اسمها منى تحكى قصتها مع محمود، وكانت تسكن مع عمها الذي يتمنى زواجها سريعًا حتى تنتهي مسؤوليته التي حملها منذ عاشت معهم ولكنها تعرفت إلى محمود في رحلة وكان يكتب روايته الجديدة، انجذب إليها وهي كذلك وفعلت المصادفة لقاء آخر فتحدثا وتعرفا، وبدأت قصة مليئة بالحب والأمل والتضحية الخالصة الصافية ربما تختلف اجتماعيًّا مع بعض أحداثها، إلا أنها تغذي روحك كثيرًا لتأخذك إلى عالم أكثر نقاء ووضوحًا ونضجًا وتزرع فيك مبادئ الصدق والمشاعر الحقيقية من طرفين بريئين تزداد القصة تعقيدًا وتظل اذكريني عند كل غروب وزواجها بآخر ومرض زوجته الأولى وحادث سيارة له وطلاقها وخدمة زوجته، ستحملك القصة بأحداثها إلى مكان أكثر نقاء، وفي وسط تلك المشاعر جاء فاصل إعلاني..

أمسك الريموت لينتقل إلى قناة أخرى ليجد برنامجًا يعرض بعض الحوادث الغريبة يأتي بأوراقها من داخل السجون، وكانت قصة امرأة

شاركت عشيقها في قتل زوجها.. كانت متزوجة وورثت محل دجاج كبيرًا من أبيها، ترك زوجها عمله ليدير هذا المكان الذي سيأتي بدخل أكبر وأصبحت تتحكم في زوجها فهي صاحبة المال، وكان لها عشيق سري يأتي إليها البيت في غياب زوجها حتى طفلهم الصغير لم يكن يدرك العلاقة وكان يظنه ضيفًا كأي ضيف يأتي في وجود أبيه، حتى عاد الزوج يومًا ليحضر بعض الملابس فوجده عندها في مكانه، وبدأ اشتباك واستطاع العشيق الهرب، هددت الزوجة زوجها بأخذ المحل إن فضحها ورميه في الشارع، توقف الزوج لضعفه وقلة حيلته، وربما لفساد بعض رجولته بسبب معاشرة تلك المرأة أو أصلًا تأصل فيه من قبل ربما ولكنه سكت، ومرت أيام رأى الزوج وهو في طريقه للمحل هذا العشيق متجهًا للبيت تمالك نفسه في البداية، ولكنه قرر أن ينطلق خلفه لإيقاف المهزلة، دخل البيت تصارعا فاشتركت الزوجة والعشيق في قتل الزوج، وشهد الجيران بما حدث..

عاد ياسر لقناته لاستكمال الفيلم انتهى الفاصل وعاد مرة أخرى.. اذكريني..

فقال ياسر وهو يهز رأسه على المخدة:

– لا اذكريني إيه بعد القصة دي.. لا تذكريني.

وأغلق التلفزيون ونام ليفيق على اتصال على هاتفه...

***

المصلحة...

تليفونه يرن، هل هذا مشهد من حلم يحلمه أم حقيقة.. أدرك أنه حقيقي، رد ياسر..

- مبروك اتقبلت معانا وحتلاقي كل تفاصيل العمل والعقد عالميل ومعاد الاستلام والأوراق المطلوبة.

قال بصوت متقطع:

- شكرًا جدًّا طيب معلش طارق نفس الكلام؟

- لا للأسف ممكن في فرصة تانية.

- تمام متشكر جدًّا حفتح الميل وأتابع إن شاء الله، سلام.

هل ستتغير الحياة لديه أم ستلازمه تلك القصص المتتابعة وكأنها تعلمه شيئًا.. لم ينتظر أن تتغير فقرر هو أن يغير كل شيء، غير حتى نوعية ملابسه وشكل شعره ونوع برفانه وحتى ضحكته، حاول أن يبدأ صفحة جديدة للحياة، زاد من هدوئه ووقاره كي يتماشى مع طبيعة عمله، كان

عليه الذهاب للعاصمة، يومان ويتابع العمل باقي الأيام من المترل مع الاستعداد للسفر في أي دولة كمهمة، وكان ذلك شائق بالنسبة له فالسفر سيكون الوحيد الفعال في التغير.

في وقت قصير أثبت نفسه وتقدم في عمله تقدمًا ملحوظًا وكان ناجحًا وسافر لمهمات بالخارج أثبتت نجاحه أكثر وأكثر..

كان يلاحظ تغيرات في السلوك الاجتماعي لبعض أقاربه وأصدقائه فمثلًا يأتي لهم أحد أقاربهم للزيارة على غير العادة وكان المقصود هو تعريفه على بنتهم.

ولاحظ طلبات صداقة من بنات في نفس السن منها أخت صديق له وأيضا من جارته، ولم يكن هذا يحدث من قبل.. الغريب أن كلامهم متشابه..

بسمع انك بتسافر.. ابقى طمني عليك.. عامل إيه الهاردة....

كان يرد بهدوء ولطف غير مقصود يجعلهم يتمادون أكثر ويستمر الحديث، لكنه كان يلاحظ كثيرًا أن الكلام متماثل في نفس الوقت منهم، كان شيئًا مضحكًا جعله يتوقف عن ذلك العبث.

جاءته رسالة من بنت قريبتهم التي كانت تزورهم تقول فيها:

"ياسر أنا حاسة انك معجب بيا بس أنا متقدملي واحد فلو حابب تتقدم قولي وأنا حرفضه.."

وكان الرد:

"الحقيقة مش فاهم قصدك بس لو بتحبيه ارتبطى بيه لو مش بتحبيه مترتبطيش، أما عني أنا فمش عارف بتتكلمي عن إيه.."

وانتهت المحادثة.

نعم أصبح شابًّا ينظر إليه في هذا المجتمع كعريس لقطة..

قرر أن ينفصل عن هذا الشعور، وأن ينفصل أيضًا عن بعض عاداته وبعض الأشياء حوله، حتى أهله فقد قرر شراء شقة جديدة، فراتبه يسمح بذلك.

كانت الأسرة رافضة لهذا القرار،ولكنه نفذ قراره الذي اتخذه واشترى شقة بالقرب من البحر الذي كان يعتبره صديقًا له بعض الوقت..

كانت الحياة مملة، وحيدًا يخرج للتسكع في الشوارع أحيانًا وفي المقاهي أحيانًا،بدأ يصاحب نوعًا جديدًا من الشباب والبنات جالسي المقاهي، كان يرى أحيانًا في بعضهم حرية وثقافة ويرى في آخرين مصلحة كما رآها في تغير سلوك البنات اللاتي راسلنه، ولكن مصلحة من نوع مختلف، منهم من يصاحبه لأنه يمتلك شقة بمفرده يطلب أحدهم قضاء ليلة مع حبيبته عنده أو بنت تلمح له بطلب زيارته، وآخر ترك المنزل لا يجد ملجأ لاختلاف أفكاره مع أهله، كان في البداية نوعًا مشوقًا خاصة الأفراد أصحاب الثقافات والحرية، ولكنه شعر أنه يتجه نحو مراهقة جديدة.. توقف سريعًا وعاد ليهتم بعمله وحاول ملأ فراغه بتعلم لغة وأشياء جديدة كرياضة،

واستمر الحال حتى قررت الشركة تعيينه في فرع في دولة جديدة، أسبوعًا وأسبوعًا إجازة، وحقق نجاحات جديدة حتى زاد العمل واضطرت الشركة لتعيين مساعد له كبديل في حالة طلبه لعمل أعلى، وكان صديقًا جديدًا كثر الملل والرتابة..هل يستمر الحال هكذا أم سيكون كريم صديقه الجديد سببًا وضعه القدر أيضًا في طريقه؟

***

سأنتقم...

زادت الصداقة والتفاهم بين ياسر وكريم زميل العمل الجديد،كان يحب فيه طيبته ونظافته ولينه، لكن شيئًا لم يكن يحبه فيه، فقد كان كريم كثير الخوف من الرزق، مترددًا في قرارات عمله، خائفًا دائمًا من مديره حتى في السؤال عن حقوقه الطبيعية حتى في تعامله مع زوجته فكانت تكلمه في الهاتف برتابة ويرد هو بكل الشوق خوفًا من إغضابها.

كان عريسًا جديدًا ربما الخوف على الاستقرار في البداية كان سببًا أو ربما هو شيء متأصل في شخصيته، زاد ذلك الخوف عندما بدأت حرب أهلية في تلك البلد، ربما سيتوقف العمل ويغلق الفرع وربما تتخلى الشركة عنه..

تعلم كريم كثيرًا من شخصية ياسر إلا قوة النفس والإيمان بذاته،

بعد أيام نقص وزنه وأصبح ذلك واضحًا، وشحب وجهه، وبدأ يظهر بعض إهمال في عمله.. علم ياسر من المدير أنه كتب تقريرًا سيئًا في كريم ربما سيؤدي لفصله خصوصًا أن الشركة أوشكت على غلق الفرع..

حاول ياسر أن يخفي على كريم واكتفى بنصيحته بالاهتمام أكثر لإثبات نفسه وساعده على ذلك بكل ما يستطيع..

وفي وقت راحة بدأ كريم يحكي لياسر شيئًا،وكأنه يريد أن يخبره سبب ما وصل إليه.

- أنا عرفت بنت في الكلية والدها صاحبة والدتي، ماما كلمتها إننا نرتبط فقالوا نأجل ده لحد مخلص دراسة،بابا جابلي شقة واتخطبنا واتجوزت من شهور بعد متخرجت بابا كان بيصرف عليا عشان أنا وحيد بس دلوقت الشغل وكده ربنا يسهل، المشكلة مش مادية بص هي كانت بتتكلم في التليفون كتير مع صاحبتها مسمياها على الموبيل حبيبتي، كنت بستغرب من طريقة الكلام أحيانًا لما أدخل فجأة، أخدت الرقم من غير متعرف لقيت اسمه على برنامج اسماء المتصلين علاء بيه، بس من خوفي لنسيب بعض وافشل في بداية حياتي وعشان بحبها مقدرتش أواجهها وده اللي تعبني، الشك في البداية والخوف من بكرة ومن اللي بيحصل.

اقترب ياسر منه ووضع يده على كتفه بلطف.

- طب بص اهتم بالشغل وأنا حساعدك وحكون جنبك، والموضوع ده تعالى في وقت بطريقة لطيفة اسألها ممكن يكون في حاجة غلط لو بتحبوا بعض مفيش بين المحبين شك..

بعد أيام عاد كريم إلى العمل بعد قضاء أسبوع الإجازة ولكنه أكثر مرضًا وإهمالًا.

قال ياسر معاتبًا إياه:

- مالك يا كريم ده برضه اللي اتفقنا عليه.

عندما نظر إلى عينه اقترب إليه وبصوت فيه شفقة أكمل قائلًا:

- حصل إيه يا كريم؟

بدأ كريم في البكاء والتنهيد.

- نزلت من الشغل لقيت عقب سيجارة جنب السرير وهي بتكره ريحة الدخان مستحيل تكون بتدخن، شكّي بقى شبه حقيقي، سكت لحد تاني يوم. وأنا نازل في الأسانسير واحدة من الجيران بصتلي بشفقة استغربت قولتلها:

أهلًا إزيك مالك حاسس إنك عايزة تقولي حاجة؟

قالت في خجل:

- أنا آسفة بس قريبكوا اللي بيجي وانت مش موجود بيخلّي الناس تتكلم في العمارة، أنا حبيت أقولك عشان انت متستاهلش الناس تتكلم عليك.

عُدت للبيت، وكانت تحدثه، مسكت التليفون..

- ألو الووو

لم يرد.. قلتلها:

- بتخونيني؟، شفت عقب السيجارة والناس قالتلي كل حاجة، واسمه علاء، وضربتها بالقلم.

هنا تحوّل وجهها وعلا صوتها.

- أيوه علاء، عايز إيه؟

ضربتها على وجهها مرة أخرى وهنا ظهر صوت من الهاتف مع صوت صراخها:

- لو لمستها حخليك تتمنى الموت، أنا ظابط وحجيبك محدش حيعرف طريقك، سيبها يا حيوان.

ياسر مقاطعًا:

- طلقها واسترها حتى لو حتخسر كل حاجة..

لم يكن اليوم لطيفًا فقد انتهى بإرسال رسالة من الشركة بعودة كريم وتصفية مستحقاته والاستغناء عنه وعودة ياسر للفرع القديم لقرار بغلق الفرع بعد توقف العمل بسبب الحروب.

كان ياسر ينظر لعين كريم في طائرة العودة وهي تدمع طول الطريق نظر إليه كريم وقال:

- بس لسة بحبها..

أغمض ياسر عينه، وأقسم:

- سأنتقم لك...

***

ذئاب بشرية...

ظلت تلك العيون البريئة المليئة بالدموع في ذاكرته تخيم عليه ليلًا وتحيطه نهارًا، وما زال شعور الثأر والانتقام يتغذى داخله ينمو أكثر وأكثر..

عاد لبيته، يحاول الخروج مما هو فيه، اتصل بأكثر أصدقائه كلامًا وحديثًا لعلهم يلهونه عما فيه.. حدد ميعادًا وذهب قبل ميعاده لم يعد يتحمل الجلوس في المنزل أكثر من ذلك.

جلس منتظرًا أصدقاءه، أخرج هاتفه ليبحث في النت عن أخبار تلك البلد التي أصيبت بالحروب، وكان يعمل بها، وبمجرد كتابة اسم البلد كان أكثر نتائج البحث، سوق لبيع الرقيق، بنات أسرهم الإرهابيون يبيعونهنَّ، نازحات للزواج، تزوج من بنات المخيمات عبر موقع كذا، وسيط للزواج من....، فتوى تدعو للزواج بالنازحات لسترهن!

قال في سره لم لا تُعطى أموالًا أو راتبًا لسترهن؟ هل لا بد من الزواج؟

كلها تجارة بظروف نساء تلك البلد المنكوبة بشكل مستفز يثير الغثيان.

وهنا وصل أول أصدقائه..

- ياسر واحشني عامل إيه في السفر؟

- رجعت مستني أشوف حيحصل إيه بعد الحرب حرجع تاني ولا حفضل هنا فترة، وانت أخبارك إيه؟

- لا انا هنا شغل الصبح وبأضيها بالليل محسوبك مولّع الدنيا، البنات بقت هبلة وسهلة أوي بيضّحك عليها في ثانية، البت من دول كلمتين حلوين تصدق وتسلملك وعيش انت بقى، على حسب اللي تاخدها البيت واللي ملهاش في كدة تاخدها سينما ولا جنينة تفك معاك واحدة واحدة، واللي آخرها بوسة، واللي كلام حلو بس ودي بتبقى بتاعة السهرة عالموبيل، بس المشكلة بقى لما أعوز أخلص من واحدة في سهل تقولها مش بفكر في الارتباط وتخلع، وفي بقى اللي تزنقك وتقول حستناك وكده تبدأ انت تدخل في حتة أهلي مش موافقين واللي تقولها سبت شغلي واللي تعمل اكنك بقيت مدمن ولا بتضرب هروين أو تقلب فجأة متدين ودقن وبتاع وتبعد او تقلب فجأة وتتلككلها عالواحدة انتي بتبصي لولاد مبقتش بثق فيكي لحد متزهقها.. آخر واحدة طلّعت عيني مستريحتش غير لما بعتلها فيديو ليا من رقم غريب وأنا ببوس واحدة عشان أخلص منها، دة فيه واحدة ملهاش سكة بس عجباني قمت ارتبط رسمي كدة وداخل طالع من البيت نازل وهوب في الآخر مش مستريح واسيب بالمعروف.. بس بصراحة دموعهم بتأثر فيا حتى بص قصرت أهو هههه..

لماذا لم ينكر عليه ياسر ما يفعل ما زال صامتًا؟

قطع حديثهم صديق آخر قادمًا، سلم وجلس واستكملوا الحديث..،

- بس الحقيقة الحياة من غير مغامرات مع الحريم ملهاش طعم.. وانت ياض أخبارك إيه؟

رد الصديق الجديد:

- لا يا عم أنا مليش في سكتك انت عارف أنا أخرى بطلب أرقام غريبة ولو ردت بنت أفضل أغلس لحد مجبها سكة، كل عشر بنات تيجي منهم بنت مثلًا واحدة واحدة سيكس فون ده أخري أو بقى سكة الفيس واشوف اكونتات بنات واقرى دماغ البنت وادخلها داخلة تعجبها ونفس الكلام في الآخر بس مليش في سكتك انت حتتمسك في مرة يا عم ماليش أنا في الجو ده..

ياسر مناديًا الجرسون.. طلبوا آيس كريم وطلب هو قهوة بدون سكر لعل مرارتها تغطي على ما يشعر به.

وهنا دخل صديقان آخران أحدهما يظهر عليه مظهر المتدينين، بدأ الكلام في أثناء السلام.

- زي مانتو مش حتتغيروا ونفس الكلام.

مشيرًا برأسه إلى صديقي ياسر اللذين كانا يتحدثان، وأكيد نفس قصصكم وبرضه مفكريني عشان بقولوكوا حرام إني مبعرفش يا عم أنا دارس فقه نكااااح.

قالها مشوحًا بيديه إلى أعلى..

ضحكوا، وقال الآخر:

- زي ما كنت متوقع باين من صوتك شكلك تعبان، ومكتئب وصامت وضعفان أهو وسلم وحضن وجلس..

استكمل قائلًا:

- لا بص أنا حاخدك بعد القاعدة دي نفك شوية.. في مساج فاتح جديد بت آخر حاجة..

ياسر ضاحكًا بنصف وجه.

- عايز حاجة تهدّيني والله..

استكمل الصديق:

- لا تهديك إيه ده هو من بره مساج بس تدخل تدفع تيبس وتعمل أحلى هابي إند..

رد ياسر بطيئًا كأنه مريض وما زالت نصف الضحكة على وجهه إلا أنها زادت بنظرة استنكار..

- وهي بتسلمك قبل متاخد الفلوس ولا بعد..

- لا طبعًا تقبض الأول بعدها تقلع.

وأشار بيده كأنه يعد أموالًا.

استكمل بعد أن أسند ظهره على الكرسي.

– أنا بصراحة ماليش في الكلام ده بس هي الحاجّة اللي لقتها تطلعني من الحالة اللي وصلتلها بعد مالبت اللي حبتها تمن شهور لقتها كل ماكون قافل نت ولا مشغول تدور على أي حد تكلمه هي كانت بتحبني بس مبتعرفش تقعد ساعة من غير راجل لازم تكون معاها أربعة وعشرين ساعة غير كدة تخونك مع أي كلب معدّي، جبت الباس ورد بتاع الفيس مرة واتصدمت والله يا ريس.

رد ياسر وقد انفعل وانتفخ أنفه واتسعت عيناه:

– تمن شهور لو منك كنت حمثل عليها الحب وأسيبها وارجع تاني تمن مرات أعذبها بكل شهر عرفتها فيه أو أطعنها تمن طعنات في صدرها.

قالها وخبط بيده على الترابيزة وكأنه يطعنها..

تفاجأ الجميع من رد فعله لم يكن هكذا.. انتهى اليوم وعاد لبيته.

هل نسي أنه أيضًا يخطئ، هل نسي خطيئته في المعرض، هل نسي ما قاله أصدقاؤه منذ دقائق وكيف يعيشون حياة الذئاب المفترسة وربما هم السبب الرئيسي الذي يجعل البنت الطيبة تتحول لوحش أو تفقد إنسانيتها وتصبح آلة انتفاع مجردة من المشاعر،ربما أنت من تقطف الوردة ثم تتهمها بالموت، هل نسي ما رآه في الأخبار من متاجرة عالمية بظروف النساء في البلاد المنكوبة، أو متاجرة بأجسادهن في إعلان وترويج أنها سلعة، هل كل هذا لم يكفِ لإخماد ناره وانتقامه، هل نسي أن هناك الكثير يعيشون حبًا

نقيًّا ليس فقط في فيلم اذكريني، ولكن في الحياة كثير، أم أن شعور الثأر جعله لا يرى.

لم يعد ياسر هو ياسر فقد شوهت روحه هو الآخر،فلماذا يلوم الآخرين إذًا؟ عاد للبيت جثة هامدة بدون روح، فليس بداخله إلا شبح لا يرى.

***

كثيرًا ما تكون هي الضحية أيضًا...

ما الذي فعله حتى يواجه كل هذا في هذه المرحلة العمرية؟

جلس يفكر، هل خُلق هؤلاء بنفوس مشوهة أم أن نظرات التحرش والتحرش اللفظي والجسدي هي السبب، أو تم خداعهم من مثل هؤلاء الذئاب أم أن حبسها وسلبها حقوقها كإنسان كامل الأهلية واستغلال ضعفها في جعلها سلعة عالمية؟ هل كل هذا ما جعلها هكذا؟ وما جعل الذئاب ذئابًا؟ هل ولدوت ذئابًا صغيرة أم أنها اكتسبها من ذئاب أكبر منها أم ربما صادف قصصًا من التي صادفها ياسر فلم يتمالك نفسه أمامها وتحول لهذا الوحش؟ أم فقط هي مجرد مصادفات في وسط أي مجتمع ربما تصادفت أن تتجمع أمام ياسر لتدفعه للطريق نحو مريام؟

قرّر ياسر أن ينتقم بطريقة مشوهة تناسب التشوه الذي حدث لروحه، قرر أن يوقع البنات في حبه وعند سماع تصريحهم بالحب ينسحب، كان يظن أن ذلك سيُشفي صدره ويكون انتقامًا لما حدث لكريم، حدّد مكان الفريسة سيكون القطار الذي يستخدمه معظم البنات المغتربات في طريقه

للعاصمة في أثناء ذهابهن إلى الجامعة وذهابه هو للعمل.. بدأ يسن سكينه، ارتدى أفضل الثياب واستخدم أفضل العطور، وعدل كل شيء ليظهر ببريق جذاب.

ركب القطار باحثًا عن فريسته الأولى، هذه؟ لا ليست هذه.. حتى وجد فتاتين يجلسان معًا يراجعان بعض الدروس معًا..

جلس أمامهما في المقعد المواجه، انتظر قليلًا وكأنه يشد إطار القوس حتى يقوى انطلاق السهم، انتظر جملة تصلح كمدخل للكلام، سمع معلومة غير مكتملة وهنا أطلق سهمه، وبدأ يتدخل لتصليح المعلومة وانتقل إلى الدراسة والجامعة وقبل النزول في المحطة طلب رقمي هاتفيهما ليرسل بعض الأشياء التي تساعدهما في بعض المواد على الواتساب..

بعد انتهاء يوم العمل بدأ في تمثيليته، لقد كان بارعًا وكأنه فعل ذلك كثيرًا، فمشاعر الانتقام أخرجت منه ممثلًا بارعًا ذا أنياب، بدأ في نهش فريسته شيئًا فشيئًا، يتحدث عن الدراسة بعض الوقت ثم ينتقل لإيقاعها بكلماته عن الاهتمام بها والإعجاب بزيها ووجهها حتى تطور الأمر واتفق على ميعاد لأنه يفتقدها ويشتاق إلى رؤيتها مجددًا، تردّدت كثيرًا فسنها الصغيرة ودراستها جعلتاها بعيدة عن التعامل مع الشباب فتنقصها الخبرة في ذلك، ولنقائها سريعًا ما تحوّلت بعض المشاعر إليه فهذا أول شخص يهتم بها بهذه الطريقة، تحولت تلك المشاعر بعد ذلك إلى إدمان، لا تستطيع قضاء اليوم بدون الحديث إليه.

اقترب عيد ميلادها، استغلت الموقف لرؤيته وأقنعت أهلها أنها تريد قضاء يوم عيد ميلاها معهم في تلك المدينة التي يسكنها كرحلة لقضاء يوم على الشاطئ، بعدت عنهم قليلًا وهم على الشاطئ لتقابله لحظات ففاجأها بهدية سلسلة.

اقترب وفي رقة قال:

- كل سنة وانتِ طيبة.

اقترب ليضع السلسلة حول عنقها بيده لم تتمالك نفسها فلمست يده كتفها اهتز جسدها في رعشة أغمضت عينيها وكأنها في السماء، وقالت في تنهيد:

- أول مرة ولد يلمسني، آسفة إني بترعش كده.

مسك يديها وقربها إلى شفتيه وقبلها، قالت:

- بحبك.

وكأن قدميها وجسدها أصبحت كعود الورد الملتوي لا يستطيع الثبات مستقيمًا.

ودّعها وذهب.. ظلت الرعشة في جسدها طول اليوم، عادت للبيت.. اتصلت به لم يرد، أرسل رسالة:

- آسف مش بفكر في الحب.

وأغلق الهاتف..

شعر بنصر وكأنه حقق هدفه المريض وانتقم،لا يدري أنه ارتكب جريمة ذبح أكبر من التي ارتكبتها تلك الخائنة زوجة كريم..

دائمًا يأتي الندم مُتأخرًا...

- ليه حرام عليك علّقتني بيك؟ ليه خلّيت مشاعري تميل ناحيتك، أنا أول مرة أُعجب بحد، وأول مرة أحس الإحساس ده.. طب قولي عملت كدة ليه؟ ليه اهتميت بيّا، ليه قرّبت مني، ولمستني، وانت عارف إن محدّش لمسني قبل كده؟ ليه فتحت الباب، وخلّيت مشاعري تدخل؟ ليه ناديت عليا؟كلّمني حرام عليك انا مش عارفة انام رد عليا..طب رد ومتكلمنيش تاني بس ريحني.. طب انت غيّرت فكرك.. طب بتختبر حبي صح.. مش معقول كنت بتضحك عليا لا.. ياسر رُد عليّا مش عارفة أنام....

رسائل متقطعة أرسلتها إليه رسالة تلو الأخرى ولا رد من ياسر فقد أغلق هاتفه، ونام مُلطخًا بدماء ذبيحته.

جاء الصباح ليفيق الناس من غفلتهم، فتح ياسر عينه، فتح الموبايل وقرأ الرسائل، ولكنه أغلق الهاتف مرة أخرى لم يفق، ما زال في غيبته، مات قلبه وأحاسيسه، نعم لم يحبها نعم كان ممثلًا رائعًا، ولكن كيف استمر في ذلك بأنياب ذئب ولم تحركه كلماتها البريئة الباكية..

هل هذا ياسر أم ياسر قد مات؟..

بدأ يفكر في فريسة جديدة،ما مواصفتها؟وما مدخلها؟ وكيف سيطعنها هذه المرة؟

هذه المرة سيستخدم الفيس بوك، فتح الفيس على اللاب ومدّد قدميه فربما سيطول الوقت لإسقاط الفريسة.

رسالة من صديق.

"إيه يا كبير مش ناوي تيجي النهاردة حنقضيها واحتمال تقلب ميغة.." كانت رسالة من أحد الذئاب التي جلس معهم.

"لا للأسف مشغول شوية"

"إيه يا بوب ليه كدة مش بقولك مش عاجبني، ولا شكلك قلبت شاذ طب مش تقول لو ناوي صحابك أولى من الغريب ههههه."

نعم تجرأوا عليه بهذه الطريقة من الكلام فقد رأوا ياسرًا جديدًا، قد استذأب مثلهم.

"ههه لا خالص بس تعبان ومشغول شوية حبقى أكلمك لما أنزل.."

تذكّر زميلة قديمة كانت معروفة بصداقات الولاد، ربما ستسهل عليه المهمة، والمدخل الذي سيلقى فيه شباكه دون تعب كما حدث في مدخل الكلام في الضحية السابقة.

"هاي عامله إيه؟"

"تمام وانت أخبارك إيه؟ شغال ولا لسة؟"

"لا اشتغلت بسافر وكده."

"والعة تلاقيك عملت فلوس حلوة."

"مش قوي الصراحة بس الحمد لله، إيه رأيك تيجي نتقابل أنا فاضي.

"تمام إشطة فين؟"

تقابلا في اليوم التالي، وكانا قد اتفقا على الذهاب للسينما.

جلسا معًا، وبدأ الفيلم، بدؤوا أكل الفيشار، لاحظ بريق دبلة في يديها ظهرت عندما حركت يديها والضوء المنعكس من الشاشة..

- إيه ده انت مخطوبة؟!

- آه أنا مقلتلكش؟

استمر الفيلم.. الجو بارد من تكييف القاعة، اقتربا فربما يكتسبان بعض الدفء، وفي أثناء مشهد رومانسي قبَّلها..

- أنا آسف مش عارف عملت كدة إزاي؟

قال لها بعد الخروج من السينما:

- خصوصًا إنك مخطوبة.

وكانت عيناه في الأرض مترددًا هل سيمثل عليها وهي مخطوبة أم يتوقف ويكتفي بهذا الاعتذار؟

ولكنها فاجأته..

هزّت رأسها ويدها بابتسامة وقالت:

- يا سيدي متشلش في مثل بيقول واحد للصرف وواحد للرف وواحد للزف.. نخليك رف أو صرف بما إنك شغال، وضحكت بتهكم..

عاد للبيت يفكر في جملتها هذه هل هي جملة حقيرة أم فعلته أحقر كيف يُقبّل مخطوبة؟ لم يكن ذلك في خطة الانتقام المشبوهة.

رسالة جديدة على الهاتف..

"رد عليا عشان خطري يا ياسر انا بموت طب رد عليا فهمني أعمل إيه انا ملخبطة ومعنديش أي خبرة في الحاجات دي.."

كانت رسالة من ضحيته الأولى.

لم يرد، ذهب لفراشه ليستلقي ولكنه نام سريعًا، وفي نصف الليل قام من كابوس صراخ شديد وعرق كأن نفسه تأبى أن تسكن هذا الجسد بعد الآن.

كان الهدوء يخيم على المكان فقط صوت أنفاسه السريعة، شرب قليلًا من الماء، وخرج للبلكونة يُحدّث نفسه، ويستنشق هواء نظيفًا كأنه يستفيق.

نظر إلى السماء وكأنه يعتذر..

دخل ومسك هاتفه، اتصل بها ردت سريعًا برغم تأخر الوقت:

- ياسر ليه كده؟

- أنا آسف دي كانت أكبر غلطة عملتها في حياتي بس أنا مكنتش حقير كده،ومش قادر أبرّر لك عملت كده ليه سامحيني أرجوكي أنا آسف وحكون جنبك في أي حاجة تحتاجيها.

- بس يا ياسر طب....

لم تكمل جملتها.

- أنا عارف إني جرحتك بس حتلاقى اللي يعوّضك ده، ويحبك حُب حقيقي بس متتغيّريش.. خلّيكي نقية كدة حتلاقي اللي يحبك من قلبه متتغيريش بسببي أرجوكي خليكي حقيقية زي منتي.. مع السلامة.

لم يكن اعتذاره كافيًا لتبرئته مما فعل.

قرّر أن يُكفّر عن خطأه بأن يُربّي جيلًا جديدًا على المعاني الصادقة الحقيقية، لن يترك المجال للزيف أن ينتشر، سيذهب إلى الجمعيات الخيرية التي بها أطفال، ويقضي جل وقته معهم لغرس القيم الصادقة النقية، ربما يمحو ذلك جزءًا ولو صغيرًا من خطأه الكبير وانتقامه الفاسد الذي لوث يده وروحه بالدماء بعد أن كانت نظيفة طول حياته.. شعور الندم.. ولكن الندم يأتي دائمًا متأخرًا...

***

حكايات...

لم يتردد وانطلق للاشتراك في جمعيات الأطفال، يخرج معهم ويحكي لهم القصص والحكايات التي تربي فيهم المبادئ والقيم النبيلة.

بدأ قلبه يُشفى تدريجيًا، سافر بعض أيام للعاصمة للعمل، ربما يستغل هذه الفترة في تحضير قصص وحكايات وبرنامج للأطفال.

كان يجلس في مكتبه مُنكبًا على بعض الأوراق يكتب وينظر إلى شاشة الكومبيوتر وكأنه يكتب بعض المعلومات.

دخل عليه المدير.

– الشغل مقطع بعضه يا عم ياسر.

وجلس على الكرسي ممددًا وتنهد قائلًا:

– يااا نفسي أيام الشغل والزنقة ترجع تاني.

جاء ليقضي بعض الوقت مع ياسر في مكتبه فكان يتميز بروح الصداقة والخفة وحب الآخرين.

قال ياسر:

- حترجع إن شاء الله بس الصراحة مكنتش بشتغل، ده أنا اشتركت في جمعية أطفال وبحضّر لهم شوية حاجات من عالنت، نفسي الجيل ده يبقى صح وميمورش بالحاجات اللي جيلي مر بيها خلّته خاوي من جوه.

- جيل إيه يا بني إنت لسه جديد في الدنيا،الحاجات اللي حكتلي عنها دي قليلة جدًّا عالواقع الحقيقي اللي بنعيشه وعلى فكرة ملهاش علاقة بجيل معين، ده تاريخ بشرية.. دايمًا في الفاسد والصالح وعلى فكرة الفاسد أكتر وحتى لو أقل دايمًا بيبقى ظاهر أكتر، وبيلمع عشان كدة بتحس إنه كتير..بص عشان متظلمش جيلكواححكيلك كام حكاية حصلت حقيقي في السريع كدة عشان عندي اجتماع، حكاية زمان وأنا طفل وحكاية وأنا في سنك وحكاية من شهرين كده.. آدي تلات أجيال يعتبر.

زمان صحينا على خناقة كبيرة في بيت ناس جيرانا وكنت صغير مش فاهم أوي والجو كان شتا فالدنيا هس هس فصوت الزعيق والخناقه كان عالي واحد بيجري ورا واحد وبعدها صويت ست..عرفنا بعد كده انه ده شغال بيسافر البحر في سفن وكدة، هو وأربعة صحابه جه وقت السفر عشان الشغل راحوا المينا بس الجو وحش جدًّا "باد ويزر" يعني فضلوا قاعدين وبعدها لغوا الرحلة عالسفينة، وأجلّوها يومين فالخمسة رجعوا البيت، يعني يدوب سابو البيت يجي ست ساعات مثلًا، تخيّل إتنين منهم رجعوا لقوا مراتاهم مع رجالة ودة كان واحد منهم.

طبعًا مكانش فيه موبايل يقولها أنا راجع، ولا الشغل اتلغى ولا حاجة، والغشيم اللي راحلها الشقة مصبرش حافظ معاد السفر محبّش يضيع وقت هههههه..ده زمان مكانش فيه بقى نت وتليفون والجو ده بس القصة انتشرت بقى.

طب خد دي مش زمان أوي يعني..

كنت شاب لسه، وبسافر قبل مبقى مدير واعد في المكتب كده.

واحد مدير عندنا كان بيسافر يقعد بالست شهور أو سنة ميترلش، وكان كل ميقول لمراته تروح معاه كام شهر ترفض وتقول بلاش عشان بدل المصاريف تحوّشلك قرشين، هو كان مقضّيها طبعًا مع بنات جنسيات، جات فترة كانت مراته بتزن عليه مرتين تلاتة في اليوم عايزه أسافر لك شهر، وحشتني، ولازم آجي، لدرجة إنها لحت إنها محتاجة حب أو جنس عشان تجبره وميأخّرش السفر،لحد مبعت لها وفعلًا سافرت، بعد ما نزلت هوب قالتله أنا حامل مفيش تمن شهور وكام يوم جابت بيبي.

الغريب إن الواد كان لونه وشكله مختلف عن أبوه خالص صحابوا أخدوا الموضوع هزار الأول بس بعد كده واحد قُريب منه حذّره، وقاله اعمل DNA خصوصًا لما عرف حكاية عايزه أسافر لك دي.

الراجل شك فعمل التحليل وطلع ملوش علاقة بالواد وكانت بتزن للسفر عشان تلبسهوله.. يا بني الدنيا مش زي منتا متخيل..

الحكاية الحديثة أوي بقى دي من شهرين تقريبًا.

الواد إبن أختي بيعتبرني زي أبوه عشان والده متوفي وبيحكيلي كل حاجة وكدة.. من شهرين لقيته بيتّصل وزعلان جدًّا عرفت إن فيه مشكلة مع خطيبته الجديدة، افتكرت إن هو السبب زي ما خطيبته القديمة سابته عشان عمل أكونت باسم غريب عالفيس وكلم صاحبتها ولما الموضوع اتطوّر قالها هو مين، خطيبته عرفت من صاحبتها، بس المرة دي طلع مش هو السبب،دي الخطوبة التانية ليه،المهم لقيته بيقولي مسكت موبايلها واحنا في الكافيه إضّايقت، صمّمت أفتح الواتس، اتجنّنت وفضلت تقوم وتقعد قمت فاتح الواتس لقيت شات مع بنت، صاحبتها بتقولها مين اللي معاكي في الصورة اللي هو ابن أختي وعاملة إيه مع هاني قالتلها لا هاني إيه طلع مش بتاع جواز وحتى أحمد اللي عملت معاه كل حاجة فكسلي فلبست في ده كلنا لها ياختي.

يا حبيبي دماغك دي عايزة عالم مثالي مش موجود أصلًا مفيش الحب اللي في بالك بتاع الأفلام ده.. يا بني اللي متجوزه عُرفي عشان تفضل تقبض معاش جوزها واللي متجوّز واحده بفلوس عشان استغل فقرها، واللي هربانة من بيتها، واللي عايشين في فيلم فترة بعدها كل واحد بيروح لنصيب تاني ولا من شاف ولا من درى، واللي واللي.. لو قلت مش حخلص.

حروح أنا الميتنج، وبص على آخر ميل بعتهولك رد عليه وسيبك من اللي بتكتبه دلوقت، آه صحيح البت خطيبة بن أختي القديمة دي كويسة أوي حبقى أوريك صورها ولو عجبتك حظبطلك الكلام وتيجي تتقدم.

همشي بقى عشان ألحق الميتنج، أرجو تكون انبسطت معانا بالحكايات؟

يا بني ده تاريخ بشرية ههههه، سلام.

يبدو أن ياسر قد جُن بالكامل، ظل يطيح بالأوراق من فوقه وينظر إليها تسقط على رأسه.. أجيال إيه اللي أربيها؟

***

مريام...

عاد للإجازة الأسبوعية، وقد قرر الاستمرار في طريقه..

وأتى صباح يوم فتح عينيه كأنه نام نومًا عميقًا، كان الهواء نقيًّا، تهتز الستائر حوله برياح محملة برائحة بداية الربيع، يفيق مبتسمًا ليبدأ يومه التقليدي في الإجازة، ثم ينزل لمقابلة الأطفال، فهو معهم اليوم في رحلة لبعض المتنزهات..

جلس وسط الأطفال يحكي لهم قصة جميلة يحرك يديه يمينًا ويسارًا ضاحكًا حينا وحزينًا حينا يمثل لهم أحداثها، النسيم يتحرك بينهم يحمل مبادئه إلى عقول الأطفال، حتى انتهى من القصة وبدأ يسأل الاستفادة من القصة، الإخلاص، الصدق، العدالة، المحبة، الإخاء، القوة في الحق، رفع الظلم، الحقيقة في كل شيء..

تركهم يلعبون قليلًا وجلس يشرب كوبًا من القهوة، يتأمل المكان حوله في هذا اليوم الجميل.

أطفال يلعبون بضحكة بريئة، ولكن ما زال هناك بعض الزيف خلف الأشجار بنات وولاد في سن المدرسة ربما يحاولون تمثيل مشاعر مزيفة ويسرقون بعض القبلات لتكون التجربة الأولى التي تنهار بعدها المباديء واحدة تلو الأخرى نتيجة الكذب الذي حدث في البداية، وبجواره ترابيزة فيها شاب وفتاة يتحدثون، ولكن الهواء ينقل أصواقم.

– وانت عامل ايه مع مراتك مبسوط.

– أهو شايله العيال، ومش مقصرة.. انتي بس اللي شغلاني عليكي فاللي بتحكيه، بس أنا مش حسكت لو ضربك تاني مش حستنى أبوكي ولا أخوكي يتحرك ححميكي بنفسي..

– لا إوعى حتفضحني أبوس إيدك، ساعتها حيبقى هو وأهلي ضدي.

– مهو كله بسبب أهلك مش كان زماني مكانه لو صبروا عليّا شويه كله من أمك، بوّظوا حياتنا، وادينا بنحاول نتقابل عشان نحس بالحياة دقايق، بس والله محسكت أنا بقولك أهو..

ولكن شيئًا آخر ظهر فجأة شيئًا يستحق التأمل ألوانه تغطي كل الزيف الذي في المكان، ما هذا ملاك أم إنسان؟ فتاة تتحرك كالفراشة، تحمل كل معايير الجمال، يظهر نقاء روحها على وجهها وحركتها، تشعر بأن الهواء تجمع حولها أكثر من غيرها، فتتطاير أطراف ملابسها.

عيناه لا تستطيعان أن تغمضا حتى لا تنقطع رؤيتها..

ترك القهوة وتحرك بغير إرادته نحوها وقد اتجهت نحو الأطفال وهم يلعبون.

وصل للأطفال وجدها بينهم، نظرت إليه، بابتسامة بريئة فيها من الطفولة ما تشبع:

- أنا مريام..

سقط الاسم على أذنه وكأنه يألفه من زمن بعيد كأنهما كانا يحييان معًا من قبل في عالم آخر، كأنها جزء منه وانفصلت منذ زمن بعيد وقد عادت الآن.

- أنا مريام ممكن ألعب معاكوا؟

- أكيد يلاّ بينا، وأنا ياسر أهلًا بيكي.

لعبا معًا، لكنه سقط فجأة، فعيناه ما زالتا على وجهها وهو يجري فلم ينتبه لخطواته.

قام سريعًا، وهنا انتبه لنفسه فوجد أمًّا تنظر إليها وإليه ربما أمها، ولكنها تنظر بحرص شديد..

تعجّب لجرأة مريام،وتعجب أيضًا لشدة حرص نظرات والدتها فليست صغيرة لهذه الدرجة..

استكملا اللعب، وكأنه عاد طفلًا نقيًّا من جديد، فلم يجد فيها نظرات الشهوة التي يراها من غيرها.. أو نظرات التي تسقط الشباب كمصيدة للارتباط.. أو تصيد إقامة علاقات.. لم يجد تكبرًا بشريًّا، وانطواء، لم يجد تمثيلًا حتى في طلب اللعب، وفي أثناء الحركة وحتى في التعريف..

لم يجد أشياء كثيرة يجدها في البشر..لعلها ليست بشرية، أو أنه في حلم وسيفيق بعد لحظات..

ولكنه أفاق على أمها تقترب..

- إحنا آسفين حنمشى بقى عشان الوقت بدأ يتأخر.

- آه والأطفال كمان لازم يروحوا، بس ممكن آخد رقمكوا ونبقى نتقابل تاني؟

قالها في جرأة غير طبيعية، فربما هذا هو طبعه الأصيل مثلها نظرت الأم في الأرض، ثم عادت تنظر إليه وهي تعض شفتيها وكأنها فهمت ما يشعر به ياسر:

- بس مريام تفكيرها طفولي شويه يعني.

قالتها في خجل.

- آه بريئة جدًّا واضح على فكرة..

لم يفهم ما تقصد.

- لا مش ده قصدي هي عقلها بس متأخر شوية يعني.

لم يشعر هو بذلك فهو يراها ناضجة في كلامها وتصرفاتها، ولكنه عقّب:

- بس يا ريت تسمحيلي آخد رقمك ونتكلم..

- تمام..

وتبادلا الأرقام، وودّع مريام بابتسامة بادلته إياها، وقالت:

- كنت مبسوطة معاكوا جدًّا بس الوقت جري بسرعة..

وكأن ابتسامتها تُحرِّك قلب ياسر، فلم يعد يتحمل سرعة دقات قلبه فأمسك بصدره..

وصّل الأطفال وعاد للبيت..

ما زال يفكر وكأنه دخل في نوم عميق، عيناه مفتوحتان لا يصدق ما رأى.

أول مرة أشعر بهذا الشعور، لعله الحب الحقيقي، بل ليس حبًّا فقط، بل هو الكمال المطلق، فقد كانت الجزء الناقص مني.

لم يأبه لما قالته الأم عن عقلها، هل أحبّها؟

كيف حدث هذا؟

فمثل هذه المجتمعات يبحث من هو مثل ياسر على من تتوفر فيها مكانة علمية واجتماعية تتماشى مع تعليمه وعمله ومستقبله، أو أن يكون بها بديل عن هذا عائلة من منصب عالٍ تستخدم كواسطة لوصوله إلى مناصب أعلى في عمله.

خفقان قلب ياسر لم يحدث من قبل ليست دقات عادية وكأنه كان مسافرًا ووصل أو كأن طفلًا رضيعًا جائعًا وجد أمه أو أن بذرة وجدت الأرض الخصبة ورويت وبدأت تنبت.. ما هذه اللهفة والاضطراب الذي تعرض له طول الليل حتى أتى يوم جديد؟

ليس موجًا ولكنه سحاب...

- آلو.. أنا ياسر إزّي حضرتك؟

- أهلًا إزيك يا ياسر الحمد لله إنت عامل إيه؟

- الحقيقة اتصلت بحضرتك عشان أستأذنك لو تسمحي نتقابل أعزمكوا على عشا في أي مكان.

- بُص يا ياسر إنت قريب من القلب ووشك فيه خير بيحبب أي حد فيك، بس أنا حاسه بيك وفاهمه بتفكر في إيه، صدّقني أنا أتمنى تتعرف على بنتي وده يشرّفني بس أنا حكيتلك عن ظروفها، ممكن تكون معجب بجمالها وبراءتها بس حتفتح بيت وأسرة وأطفال وعلاقات اجتماعية وأصدقاء وحياة عملية كل ده أكيد انت مفكرتش فيه والمشكلة الأكبر إن مريام حساسة لو خلتها تتعرف عليك واتعلقت بيك أخاف تكسرها لأنها مش حتنسى ده بسهولة ممكن تنطوي ومتكلمش حد زي ما عملت لما باباها مات وأنا مش حابة تتكسر و....

لم يدعها تكمل ورد بهدوء:

– أنا مش حقدر أقولك ثقي فيا عشان متعرفنيش بس كل اللي حقولهولك مش حقدر أبعد عن مريام أيًّا كانت التحديات دي.. ده وعد مني.

– مش عارفة أقولك إيه؟، ممم تمام أنا موافقة..

ما هذا العرق يسقط من جبينه وبدت الرؤية توحي بالسواد ربما آثار ضربة شمس بدت أعراضها تظهر عليه.. الوقوف على الشاطئ فترة طويلة مسافرًا بأفكاره جعله لا يميز الوقت، ولكن بدأت الشمس في الاستقامة واشتد حرها وتوهج ضوؤها.

لا لازم أرجع أريّح عندي مشاوير بالليل كتير وبكرة لازم أكون بكامل صحتي عشان حيبقى يوم مريام..

طول الطريق يتذكر مواقفه مع مريام يبتسم حينًا ويضحك بصوت حينًا حتى تنظر الناس إليه كأنه مجنون، ويسرح حينًا متأملاً حنيتها وطيبتها وكيف من أجله تتعلم الأشياء، تتعلم ما يسعده كيف اقتربت مشاعرها منه وكانت مشاعر حقيقية؟ كيف قالت: وحشتني بصوت عالٍ عندما رأته آخر مرة ونظر الناس إليهما في حسد؟ كيف كانت تأتي معه لتسمع القصص التي يحكيها للأطفال؟ وكيف كانت تتعامل معهم كأنها أمهم الحنون؟

يسرح في نظرها التي تملؤه إثارة وحركتها التي تجعله لا يرى غيرها، وضحكتها التي تملأ يومه فرحًا، تذكر أول مرة لمست يده يدها وكيف أغمض عينيه لا إراديًا مما شعر به..

لا يتخيل إلا أن تكون هي الحبيبة والصاحبة والزوجة..

وضع القلم والورقة في جيبه وانطلق سريعًا للبيت حتى يستريح قبل التحضير ليوم الغد.

***

وجاء الغد اليوم المنتظر، الخطوبة والارتباط الرسمي.

الأم تتصل:

– إيه يا ياسر، فكّرت؟

– فكّرت كويّس اطمّني يا ماما، بس قوليلي عايزاني أعدّي عليكي ولا تيجي مع إخواتي؟

– يعني مفكرتش بقى.

– لا فكّرت وصدقيني حكون أسعد واحد، وده اللي إنتِ عايزاه أنا عارف.

– عمومًا مش حناقشك عارفة مبتسمعش غير نفسك مبروك وربنا يسعدك دة اللي بتمناه.. صلي ركعتين وادعي ربنا يكتبلك الخير..

– مرياااااام! إيه ده الفستان حياكل منك حتة ده أحسن من شكله عالمانيكان..إنتِ كده حتخليني كالعادة، وأنا معاكي مش مركّز في أي حاجة.

يااااسررر..

- ده عشان انت خطيبي بس انت اللي مخليني حلوة.. بس بص أنا خايفة وقلقانة جدًّا، بُص طالبة منك طلب ممكن مامتك وإخواتك تخليهم يحبوني، أنا آسفة ممكن معرفش أتكلم معاهم حلو عشان مبعرفش أوي فعشان خاطري إبقى ساعدني عشان يحبوني ومتحرجش قدامهم.

اقترب ياسر وقبّلها من رأسها وحضنها وكانت الأم تراهما على الباب فقالت:

- اتفضل يا ياسر.

وكأنها لم تستأنس هذا الحضن.

- آسف أنا عملت كده غصب عني مش زي مانتي شفتي هو مجرد حسيت بأن ده تعبيير للأمان.

- مبروك يا حبيبي، يا رب تبقى أسعد أيامكوا وانتوا مع بعض، وطبعًا مش حوصّيك على مريام.

وجاء الحضور وبدأت الحفلة..

الشكل التقليدي للحضور في هذه المناسبات أسر صغيرة منها جاء ليبارك، ومنها ليرى العروسة أو العريس، ومنها من أتى ليجد عروسة لنفسه من المعازيم أو تجد هي عريس لها أو أم تبحث عن عريس لابنها أو خاطبة معها صور شباب وبنات وتعرضهم على أمهات أبنائهنَّ أو بناتهنَّ في سن الزواج والكل مشغول، ولكن هناك ما ليس تقليديًّا أيضًا.

فعلى عكس ما توقعت مريام أنها ستكون خائفة ومرتبكة، وعلى عكس ما توقع ياسر أنه سيكون له دور كبير في مساعدتها على تخطي هذا اليوم.. بل يتعاملان كأنهما معًا في السحاب،كأن لا أحد ينظر إليهما..تبادلا وضع الدبلتين، وأمسك بيدها ليبدأ رقصة سلو..

لم تكن رقصة على موسيقا بل كانت الموسيقا كالرياح وكأنهما ورقتا شجر يطيران فيها، لم يكن فقط جسماهما يتمايلان ويتقاربان، بل كانت روحاهما تترابطان كأنهما روح واحدة، تعرف كل خطوة تخطوها وكل حركة حتى النفس أصبح متشابهًا في التنهيد، أي شيء هذا؟ وكأن الحضور متعجبون من هذا الانسجام كقصة حب عمرها آلاف السنين..ربما تجعلك تؤمن بأن الأرواح كانت تتقابل من قبل في عالم آخر..

انتهى اليوم ولم يعد ياسر يفكر في فكرة الموج التي ربما يكون الحب مثلها يعلو ويهبط، فقد نظر للسحاب هذه المرة وعلم أن الحب ليس كالموج يعلو ويهبط، ولكن حبه لمريام سيكون كالسحاب دائمًا عاليًا..

لم يعد ينتظر إجابة ليكتبها في ورقته لتذكره بحبه لها، فقد أخرج الورقة وألقاها في الهواء لتبدأ أيام مريام..

لا تتعجب فربما تتخلى عن بعض الأشياء لشيءٍ أهم، وربما تتخلى عن بعض الصفات التي تتمناها في حبيبك لصفات هي أهم، واعلم أنك لم تحب إذا كان حبك كالموج، يعلو ويهبط، ولكن الحب كالسحاب دائمًا في السماء، ما دام اسمه سحابًا..

***

